

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٥٧ : ١ - الإيمان والعمل الصالح ، خ ٢ - فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-١٠-٢٩

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لرُبوبيّته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيّدنا محمّداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتّصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### التّرابط بين الإيمان والعمل :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ موضوع الخطبة اليوم : الإيمان والعمل ، وكيف أنّ الإيمان والعمل متلازمان تلازماً وجودياً ، بمعنى لو أنّ أحدهما فقد فلا معنى للطرف الآخر .  
يا أيها الأخوة الكرام ؛ منطلق الخطبة من هذه المقولة : في اللحظة التي يستقرّ فيها الإيمان في قلب الإنسان يعبر عن ذاته بالعمل ، يعبر عن ذاته بالحركة ، فما من مؤمن في قلبه ذرّة من إيمان إلا وتجذّه يتحرّك نحو خدمة الخلق ، ونحو الدعوة إلى الحق ، ونحو النصح للمؤمنين ، ونحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونحو إقامة الإسلام في بيته ، وإقامة الإسلام في عمله ، أما أن ينفصل العمل عن الإيمان ، أما أن يقول الإنسان : أنا مؤمن والله الحمد ، ولا تجد في عمله حركةً نحو خدمة الخلق ، ولا نحو الدعوة إلى الحق ، ولا نحو الأمر بالمعروف ، فالذي يشعر هذا الشعور السكوني ، والذي يكتفي بالمشاعر الدنيوية على حدّ زعمه ، والذي يكتفي بهذا الإيمان على حدّ قوله ، ولا تجد في حياته حركةً نحو خدمة الخلق ، والدعوة إلى الحقّ فميتل هذا الإنسان ينبغي أن يضع على إيمانه إشارةً خطيرة .

أيها الأخوة الكرام ؛ يتوهّم الجاهلون ، يتوهّم أعداء الدين ، يتوهّم الساذجون من البشر أنّ الإيمان بالله واليوم الآخر ، يُميتُ في الإنسان الرغبة في العمل ، إنّ ما يُلقى في قلوب بعض

الجهلة من أن الإنسان مسير وليس مخيرًا ، وأن الحياة الدنيا لا تستحق العمل والاهتمام ، إن هذا الوهم خاطئ ، وهذا التصور غير صحيح ، وهذا هو علة تخلف المسلمين ، إن كانوا متخلفين .

## الإيمان أعظم دافع إلى العمل :

أيها الأخوة الكرام ؛ حقيقة متألفة وهي أن الإيمان أعظم دافع إلى العمل ، فالإنتاج لا ينمو ولا يزداد إلا بما يبذل الإنسان فيه من جهد وعمل ، أساسه العلم والخبرة ، وما يصحب هذا العمل من إحكام وإتقان ، ولا يتحقق هذا إلا بالأمانة والإخلاص ، جهد وعمل ، وعلم وخبرة ، وإحكام وإتقان ، أمانة وإخلاص ، وهذا لا يكون إلا بباعث قوي ، وحافز غلاب غلاب ، وهل هناك من باعث أقوى ومن حافز أغلب من الإيمان ؟ الإيمان أكبر حافز للعمل ، الإيمان أكبر دافع إلى البناء .

أيها الأخوة الكرام ؛ حقيقة الإيمان بالله عز وجل ، والإيمان باليوم الآخر أنه ليس مجرد إدراك ذهني ، ولا تصديق قلبي ، غير متبوع بأثر عملي ، إن حقيقة الإيمان اعتقاد وعمل وإخلاص .  
يا أيها الأخوة الكرام ؛ يا ترى هل العمل شرط للإيمان ؟ هل العمل جزء من الإيمان ؟ هل العمل ثمرة من ثمار الإيمان ؟ إن اختلفنا في إحدى هذه المقولات فإن علماء المسلمين يتفقون على أن العمل والإيمان جزءان لا ينفكان عن بعضهما أبدًا ، النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه :

**(( ليس الإيمان بالتمني . . . ))**

[ الديلمي عن أنس ]

لا يقول الإنسان : اللهم اجعلنا مؤمنين ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

**(( ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي . . ))**

التحلي أن تضع في بيتك لوحة فيها آية قرآنية ، أن تنزيًا بزّي المسلمين ، أن تتماشى معهم في تقاليدهم وعاداتهم :

**(( ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وفر في القلب وصدقه العمل ))**

فإن لم يصدق العمل الإيمان ففي الإيمان شك كبير .  
مرة ثانية أقول ما قلته في مطلع هذه الخطبة ، في اللحظة لا في الساعة التي يستقر فيها الإيمان في قلب الإنسان يُعبر عن ذاته بالحركة نحو خدمة الخلق ، ونحو الدعوة إلى الحق ، الإيمان حركة ، الإيمان عملي ، الإيمان ظاهر ، الإيمان صارخ ، المؤمن يتحرك ، المؤمن يعمل ، المؤمن يبني ، أما هذا الإيمان السكوني فهو في الحقيقة إيمان مشكوك في صحته .

أيها الأخوة الكرام ؛ ذكر القرآن الكريم الإيمان وذكر معه العمل الصالح في أكثر من سبعين آية، ما سرّ هذا الارتباط ؛ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ؟ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وردت في القرآن الكريم في أكثر من سبعين آية ، بل إن الله سبحانه وتعالى لم يكتفِ بِقَرْنِ العمل مع الإيمان ، بل قيّد العمل بأنه صالح ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لأنّ هناك عملاً غير صالح، ما من إنسان إلا ويعمل ، حركته في الحياة هي عمله ، ويحثّه عن رزقه هي عمله ، استمتاعه بما حوله عمله ، فما من إنسان إلا وهو يعمل ، لكنّ الله سبحانه وتعالى قرّن الإيمان بالعمل الصالح ، وقال بعضهم : معنى العمل الصالح ، أي العمل الذي تصلحُ به الدنيا ، ويصلحُ به الدّين، أو العمل الذي يصلحُ به الفرد ، ويصلحُ به المجتمع ، أو العمل الذي تصلحُ به الحياة الماديّة ، والحياة الروحيّة ، فإيا أيها الأخوة الأكارم ، هذا الإسلام العظيم ، وهذا الشرع الحكيم ، وهذا الدّين القويم دينٌ شمولي ، يشمّلُ الدنيا والآخرة ، يشملُ الفرد والمجتمع، يشمل قلب الإنسان، ويشمل جسده ، ويشمل عقله ، هذا المنهج الإلهي كما وصفه الله عز وجل في قوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[ سورة المائدة : ٣ ]

هذا المنهج الإلهي منهجٌ شمولي ، وقد فسّر بعضهم قوله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[ سورة المائدة : ٢ ]

البرّ صلاح الدنيا ، والتقوى صلاح الآخرة ، والإثم اقتراف المعصية ، والعدوان أن تعتدي على الآخرين ؛ على حقوقهم الماديّة ، وحقوقهم الأدبيّة ، فهذه الآية من جوامع القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[ سورة المائدة : ٢ ]

وكلمة الإيمان والعمل الصالح وردت في القرآن الكريم في أكثر من سبعين آية ، وقد قيّد الله العمل بأنه صالح ، أي تصلحُ به الدنيا ، وتصلحُ به الآخرة ، يصلحُ به جسد الإنسان ، وتصلحُ به نفسه ، ويصلحُ به عقله ، يصلحُ به الفرد ، ويصلحُ به المجتمع ، تصلحُ في الإنسان قواه الروحيّة، وقواه الماديّة .

أيها الأخوة الكرام ؛ دور العمل في حياة المؤمن هو انطلاق اختياريّ نحوّه وليس المؤمن يُساق إلى العمل ، كما تساق القطعان إلى أعمالها ، ولا يُساق إلى عمله بِقُوّة قاهرة ، ولا بضغط خارجيٍّ أو داخليٍّ ، إنّ المؤمن يتحرّك نحو العمل الصالح بدافع ذاتي نابع من إيمانه ، إذا عرف

الإنسان حقيقته ، وسرّ وجوده ، واستخلاف الله له في الأرض ، والأمانة التي كلفَ بها، والرسالة التي حملها ، إذا عرف الإنسان حقيقته انطلق بدافع ذاتي إلى العمل ، عندئذٍ لا يحتاج إلى دافع خارجي ، لا يحتاج إلى قهر ، ولا إلى سوق ، ولا إلى ضغط ، ولا إلى تضيق، ينطلق الإنسان بدافع من ذاته إلى خدمة الخلق ، وإلى الدعوة إلى الحق ، حتى إلى إحسان عمله المهني .  
أيها الأخوة الكرام ؛ لا تصلح الدنيا إلا بالإيمان ، فما من عملٍ مادي خالطه الإيمان إلا كان متقناً، وكان صاحبه مخلصاً ، وكان أميناً ، وكان وفياً ، وما من عملٍ دنيويٍّ ابتعدَ عنه الإيمان إلا لابسهُ الغشَّ ، والتزوير ، والمبالغة ، لابسهُ مخالفة أحكام القرآن الكريم .  
أيها الأخوة الكرام ؛ ألا تكفينا هذه الآية :

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة الزخرف : ٧٢]

### الدين اتصال بالخالق وإحسان إلى الخلق :

أيها الأخوة الكرام ؛ حقيقة أساسية أضعها بين أيديكم ، الله سبحانه وتعالى لم يجعل الجنة حكراً لفئة دون أخرى ، ولم يجعل الجنة التي وعدَ بها المتقين لمجرد الانتماء الشكلي إلى دين أو إلى آخر ، قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

[سورة الكهف : ١١٠]

القرآن كله لخص بهذه الآية :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف : ١١٠]

قال علماء التفسير : إن الله سبحانه وتعالى ربط الرجاء برحمته ، ربط هذا الرجاء بالعمل الصالح ، قال تعالى :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف : ١١٠]

وقال تعالى :

﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْ قَوْمِ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة : ١١١]

والله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع عباده بالأمانى قال تعالى :

﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِنْ لَمْ نَكُنْ مِنْ قَوْمِ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة : ١١١]

ما برهانكم على انتمائكم لهذا الدين أو ذاك ؟ إنه العمل الصالح ، قال تعالى :

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة : ١١١]

أرأيتم إلى هذه الآية أيها الأخوة ؟ كيف أن الله سبحانه وتعالى لخص الدين كله الذي يؤهل صاحبه إلى الجنة ، لخصه بكلمتين ؛ إسلام الوجه لله عز وجل ، الوجهة إلى الله والاتصال به ، وهو مُحسنٌ ، هذه الآية تقابلها آية أخرى ، قال تعالى :

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾

[سورة مريم : ٣١]

إذا أردتم ضغط الدين في كلمتين ؛ إنه اتصال بالخالق ، وإحسان إلى الخلق ، إنه صلاة في الوجهة ، وزكاة في العمل ، إنه إسلام الوجه لله عز وجل ، والإحسان في العمل ، قال تعالى :

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِنْ أَمْنَا بِمَا هُوَ مُؤْتًا بِهِ مِنْهُمَا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا لَنُدْخِلَنَّهُمْ الْجَنَّةَ وَإِنَّا بِآيَاتِنَا لَغَوَّيُونَ﴾

﴿صَادِقِينَ﴾

[سورة البقرة : ١١١]

ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني :

أيها الأخوة الكرام ؛ روى المفسرون أن مجلساً ضم جماعة من اليهود ، وجماعة من النصارى ، وجماعة من المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزعمت كل جماعة أنها أولى بدخول الجنة ، فقال اليهود : نحن أتباع موسى ، اصطفاه الله برسالاته وبكلامه ، وقال النصارى : نحن روح الله وكلمته ، وقال المسلمون : نحن أتباع محمد خاتم النبيين ، وخير أمة أخرجت للناس ، عندئذ نزلت آيات من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم حاكمة فاصلة ، قاضية عادلة ، خاطبت المسلمين في صراحة واضحة ، قال تعالى :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا

يُظَلَمُونَ نَقِيرًا﴾

[سورة النساء : ١٢٣-١٢٤]

آية حاكمة فاصلة ، واضحة عادلة ، قاضية مفصلة ، ليس بأمانيتكم ولا أمانِي أهل الكتاب ، أي أيها المسلم لا تقل : أنا مسلم ، مصيري إلى الجنة ، ولا تقل : أنا من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمرسلين ، ولا تقل : أنا من أم وأب مسلمين ، لا تقل : أنا من الأمة التي فضّلها الله على العالمين ، من الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، لا تقل هذا الكلام ، قال تعالى :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾

[سورة النساء : ١٢٣]

كُنْ مَنْ تَكُنْ ، كُنْ مِنْ أَيِّ دِينٍ شِئْتَ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

[سورة النساء : ١٢٣-١٢٤]

الإيمان والعمل الصالح ، ليس الإيمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .

### إتقان العمل جزء لا يتجزأ من الدين :

أيها الأخوة الكرام ؛ متى ينجحُ العمل ؟ نجاح العمل في إتقانه ، وكلّمك يرى أنّ الشيء المُتقن لا تبور سوقه ، ولا يفتقد من يرغبُ فيه ، وأنّ الشيء غير المتقن هو الذي يكسد، فلذلك يجب أن نؤمن نحن المسلمين أنّ إتقان العمل جزء من الدين بل جزء أساسي من الدين ، وكأني بهذا القانون لو طبّقهُ الكفار لقطفوا ثماره ، لو طبّقهُ من أنكر وجود الله لقطف ثماره ، إتقان العمل جزء لا يتجزأ من الدين ، بل هو من صلب الدين ، لأنّ الله سبحانه وتعالى كما أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام :

((إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء ، يجب أن تحسن حتى لو ذبحت شاةً ، فإذا ذبح أحدكم

ذبيحته فليحدّ شفرتَهُ وليُريح ذبيحته ))

[مسلم عن شداد بن أوس]

الآن ما سرّ الإحسان ؟ ما دام الله سبحانه وتعالى كتب الإحسان على كل شيء ، أي يجب أن تحسن في كل شيء ، في عمك المهني ، في علاقاتك الخاصة والعامة ، في كل شيء ، معنى ذلك أنّ الطريق إلى الإحسان ، قال عليه الصلاة والسلام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، أصحاب الحرف ؛ لو أنّ كلّ صاحب حرفة وهو يعمل شعر أنّ الله مطلعّ عليه ، يراقبه ، الطبيب في عيادته ، والمحامي في مكتبه ، والتاجر في دكانه ، والموظف في دائرته ، وربّ البيت في أسرته ، والمرأة في بيت زوجها ، والخادم في معمل سيّده ، إذا شعر كلّ مؤمن أنّ الله يراقبه ، ويطلّع عليه فهذا أحد أسباب الإحسان ، من أين يأتي الغش ؟ حينما يشعر هذا الإنسان أنّ أحدًا لا يراقبه ، وأنّ هذا الإنسان ضعيف ليس بإمكانه أن يكشف الغش ، أما حينما يشعر كلّ إنسان أنّ الله معه يراقبه ، وأنّ حرّفته أمانة في عنقه ، وأنّ هؤلاء الذين وثقوا به وكيلهم الله عز وجل ، وسوف يحاسبه الله عز وجل عنهم ، لم أهمل ؟ لم دلّس ؟ لم أوهم ؟ لم غش ؟ لم وصف وصفاً غير صحيح للبضاعة حتى بيعت بأسعار غالية ؟ حينما يشعر الإنسان أنّ الله مطلعّ عليه ويراقبه ، النتيجة الحتمية الطبيعية أن يحسن في عمله ، الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :



وتعالى بين كل شخصين ، على مستوى الأسرة ربّما تقرّب الزوج إلى الله عز وجل بصبره على زوجته وخدمته لها ، وربّما تقرّبت الزوجة إلى الله عز وجل بصبرها على زوجها وخدمتها له ، إذا بين الزوجين ربّ العالمين ، وبين البائع والشاري ربّ العالمين ، وبين الطبيب والمريض ربّ العالمين ، وبين المحامي والموكل رب العالمين ، وبين المواطن والموظف رب العالمين ، فإذا ضعف الإيمان أكل الأقوى الأضعف ، هذا سرّ نجاح النظام الدّيني ، وسرّ إخفاق الأنظمة الوضعية ، في الأنظمة الوضعية الأقوى يأكل الأضعف ، والأدنى يأكل الأغنى ، ولكن في النظام الدّيني مهما كنت ضعيفاً فالله وكيلك ، ومهما كنت ذكياً فالله يراقبك .

### عوامل نجاح العمل :

أيها الأخوة الكرام ؛ أحد عوامل نجاح العمل في حقل الدّين أنّ المؤمن يتمتّع بسكينة ما بعدها سكينة ، المؤمن يتمتّع بسكينة النفس ، وطمأنينة القلب ، وانسراح الصّدر ، وبسمة الأمل ، ونعمة الرضا ، وحقيقة الأمن ، وروح الحبّ ، وجمال الصفاء ، هذه هي صفات المؤمن ، وهذه الصفات هي التي تدبّع ، هي التي تُسبّبُ النجاح في العمل ، وهذا شيءٌ ملاحظ، فالطالب المؤمن أنجح في دراسته من الطالب غير المؤمن ، ذهنه صافٍ ، ونفسه مطمئنة ، وثقته بالله كبيرة ، بينما الطالب غير المؤمن موزّع النفس بين الشهوات ، مُشتّت القلب، متشائمٌ في أكثر الأحيان ، يائس في معظم الحالات ، الإنسان غير المؤمن شارّذٌ ، مضطرب ، قلق ، يائسٌ ، حاقذٌ على الناس ، والعمل يحتاج إلى صفاء ، وإلى سكينة ، وإلى إبداع ، وإلى ثقة وتفاؤل .

شيء آخر أيها الأخوة ، الملاحظ أنّ المؤمن لأنّه مستقيم ، وقافٌ عند حدود الله، ياتّمر بما أمر الله ، وينتهي عما عنه نهى ، ينأى بنفسه عن ارتكاب الموبقات ، والانغماس في أحوال المحرّمات، يأبى عليه أن يفرغَ طاقته فيما حرّمه الله عز وجل ، فطاقاته مَصونة ، وإمكاناته محفوظة ، وعضلاته قويّة مفتولة ، وذهنه صافٍ متّقد ، وأعصابه مطمئنة مرتاحة ، لذلك في العالم الغربي والعالم الشرقي ، أو في العالمين الشاردين عن الله عز وجل ، في عالم الانحلال ، وعالم الفهر ، في هذين العالمين الشهوات المحرّمة تستهلك كل الطاقات ، في بعض الإحصاءات ورد أنّ اثنين وسبعين مليون إنسان في بلد غربي يتعاطون الخمر ، وأنّ هذه الخمر تكلف الدولة ما يزيد عن بليونين من العملات الصعبة لأنّ هؤلاء الذين شربوا الخمر تعطلّوا عن الأعمال ، واحتاجوا إلى المصحّات .

أيها الأخوة الكرام ؛ بعض الدّول العظمى التي تفكّكت قبل أن تتفكّك حرّمت الخمر ، كمجتمع المسلمين ، والمجتمع النظيف ، المجتمع الساكن سكون الرضا ، المجتمع الواثق بالله عز وجل ، هذا مؤهّل لكل إنجاز عظيم ، فإذا قصرنا في العمل فهذه وصمة عارٍ في حقنا .

مرة ثانية وأخيرة : حجمك عند الله بحجم عملك ، " يا بشر لا صدقة ولا صيام ولا جهاد فبِمَ تلقى الله إذا " كل واحد يسأل نفسه هذا السؤال : ما العمل الذي ألقى به الله غداً ؟ ما العمل الذي أضعه بين يديّ عندما ألقى ربّي ؟

أيها الأخوة الكرام ؛ قلتُ هذا كثيراً ، وسأعيده مرّة ثانية : حرفتك ، مهنتك التي ترتزق منها ، إذا كانت مشروعاً في الأصل ، ومارستها بطريقة مشروعة ؛ لا كذب ، ولا تزوير ، ولا مبالغة ، ولا إيهام ، ولا غش ، إذا كانت في الأصل مشروعاً ، ومارستها بطريقة مشروعة ، وابتغيتَ منها كفاية نفسك ، وكفاية أهلِكَ ، وخدمة المسلمين ، ولم تشغلك عن فريضة دينية ، ولا عن مجلس علم ، ولا عن عمل صالح ، حرفتك تلك يمكن أن تتقلب إلى عبادة تلقى الله بها ، وقد تدخل بها الجنة ، إذا أنقنتَ عملك ، ونفعت المسلمين ، لذلك كان السلف الصالح إذا فتحوا دكاكينهم يقول أحدهم : نوّيتُ خدمة المسلمين .

أيها الأخوة الكرام ؛ الأعمال المباحة بالنوايا الطيبة تتقلب إلى عبادات ، أنت إذا أمنتَ إيماناً كبيراً انقلبتَ حرفتك إلى عبادة ، انقلبَ بيتك إلى مسجد ، انقلبَ عملك من أجل أهلِكَ وأولادك إلى عمل صالح ، وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة .

عودٌ على بدء : في اللحظة التي يستقرّ فيها الإيمان في قلب الرجل ، هذا الإيمان يعبر عن نفسه بالعمل ، وبالحركة نحو خدمة الخلق ، ونحو الدعوة إلى الحق ، فمن شعر أنه سكوني ، وأنه يكتفي بالانتماء إلى هذا الدين ، وأنه يكتفي بالمشاعر الإيمانية ، يكتفي بالقناعات الفكرية ، هو في وادٍ وعمله في وادٍ ، مثل هذا الإنسان يجب أن يقلق ، ويجب أن يضع إشارة استفهام كبيرة على إيمانه لأنّ الجنة لا يستحقها الإنسان إلا بالعمل الصالح .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ؛ الكيس من دان نفسه وعمل إلى ما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى ، والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## تفسير قوله تعالى : **فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ \* وَمَا لَأَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ** :

أيها الأخوة الكرام ؛ في القرآن الكريم ، وفي سورة الحاقة بالتحديد آية كريمة تلفتُ النظر ، وهي قوله تعالى :

### **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ \* وَمَا لَأَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾**

[سورة الحاقة : ٣٨-٣٩]

فما هو الذي لا نبصره ؟ قال العلماء : في عشرينيات هذا القرن ، كان علماء الفلك يعتمدون في دراساتهم على الضوء المرئي ، آلات من الأجرام فقط ، النجم الذي له ضوء يصلنا هو النجم الموجود ، وما كانوا يعتقدون أن هناك نجومًا لا نراها ، ثم اكتشفوا فجأة أن حقيقة الضوء حركة موجية ، وأن لون الضوء يعتمد على طول هذه الموجة ، وأن العين البشرية لا تستطيع أن ترى من طول هذه الأمواج إلا ما بين أربعة آلاف بوحدة قياس الموجة وسبعة آلاف ومئتين ، بين هذين الترددتين الموجيتين الإنسان يرى ، وقبل هذا التردد وكذا بعده لا يرى ، فإذا وقع الضوء خارج هذين الحدين البنفسجي أربعة آلاف وحدة ، والأحمر سبعة آلاف ومئتان ، إذا وقعت موجات الضوء قبل أو بعد هذين الحدين فإن الشيء مع أنه موجود لا يرى ، لذلك هناك الأشعة التي وراء البنفسجية لا نراها ، الأشعة السينية ، أشعة غاما النافذة لا نراها ، والأشعة التي تحت الحمراء ، الموجات الدقيقة لا نراها ، الموجات الإشعاعية لا نراها ، فالعين لا ترى إلا في حدود ضيقة جدًا ، لذلك ربنا سبحانه وتعالى قال :

### **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ \* وَمَا لَأَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾**

[سورة الحاقة : ٣٨-٣٩]

بتفسير أبسط هناك كائنات لا نراها ، فالجراثيم لا نراها ، الفيروسات لا نراها ، هناك ما وراء حدود رؤيتنا ، إذا يجب أن نؤمن أن الآيات الدالة على عظمة الله عز وجل والتي لا نراها ربما كانت أكثر عددًا وأعظم شأنًا من التي نراها ، لذلك وردت هذه الآية الكريمة لتلفت نظر المؤمن إلى أن هناك آيات كثيرة لا نراها ، قال تعالى :

### **﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ \* وَمَا لَأَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾**

[سورة الحاقة : ٣٨-٣٩]

وحدث الشيء نفسه عن السمع ، هناك أصوات لا نسمعها بين عتبتين ، وهناك أشياء لا نلمسها ، فربنا سبحانه وتعالى قال :

### **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾**

[سورة القمر : ٤٩]

بالقدر المناسب ، وبالقدر الحكيم ، وبالقدر الذي لا يزعج ، ولا يؤذي ، فلو أن الله سبحانه وتعالى رفع عتبة الحواس في الإنسان إلى درجة أعلى لأصبحت حياة الإنسان جحيمًا ، أقل شاهد على ذلك أن كيس الماء الصافي الذي تنعم بصفائه ومذاقه ، لو رأيت ما فيه من الكائنات الحية

لَعَفَتُ نَفْسُكَ أَنْ تَشْرِبَهُ ، فَالْحَدَّ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ فِي الرُّؤْيَةِ حَدًّا مَنَاسِبًا ، وَحَكِيمًا وَمَعْقُولًا ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا تَرَاهَا ، وَأَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ أَلَّا تَرَاهَا ، وَلَكِنَّهَا آيَاتٌ عَظِيمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى وُجُودِ اللهِ ، وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَعَلَى عَظَمَتِهِ .

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْكَرَامُ ؛ كَلِّمًا جَالَ فِكْرُكُمْ فِي آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ ارْتَقَى إِيمَانُكُمْ ، أَقُولُ هَذَا مَرَارًا وَتَكَرَّرًا : الْكُونُ بِسَمَوَاتِهِ وَأَرْضِهِ ، وَالْإِنْسَانُ بِخَلْقِهِ الْمَعْجَزِ ، بِطَعَامِهِ بِشَرَابِهِ ، بِتَوَالِدِهِ ، وَمَا حَوْلَهُ مِنْ نَبَاتَاتٍ وَمَظَاهِرٍ طَبِيعِيَّةٍ ، الْكُونُ أَوْسَعُ بَابٍ إِلَى اللهِ ، وَأَقْصَرُ طَرِيقٍ إِلَيْهِ .

## الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وديننا الذي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك . اللهم لا تؤمننا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تتسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمننا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما نحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، فنسأل شرَّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وببيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بديناهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولائهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

## والحمد لله رب العالمين